

الجهد العسكري العربي الإسلامي لفتح لبلاد المغرب

لقد استغرق العرب وقتا طويلا يزيد على سبعين سنة في اتمام تحرير شمال افريقيا من السيطرة البيزنطية ومقاومة البربر ان اصطلاح شمال افريقيا يعد مرادفا لكلمة المغرب التي استعملها الجغرافيون والمؤرخون العرب لوصف معظم المناطق التي تمتد من حدود مصر الغربية حتى شواطئ المحيط الاطلسي . ان الدافع الذي دفع العرب الى التوجه نحو المغرب هو رسالة العرب الواحدة التي تكمن في نشر مبادئ الاسلام بين الشعوب المجاورة وتحريرها من السلطة الاجنبية وهي نابعة من حقيقة شعور العرب بمسؤولياتهم ازاء هذه الشعوب لانهم حملة رسالة سماوية مقدسة ولكن يبقى للمغرب خصوصية معينة حفزت العرب على مد نشاطهم العسكري اليه ، فلقد انجز العرب تحرير مصر من سلطة البيزنطيين ، وما ان اتم لهم ذلك لاسيما بعد سقوط الاسكندرية عام 22هـ/642م حتى ادركوا ان الحفاظ على ما حققوه في مصر لا يتم الا بالقضاء على كل خطر محتمل يهدد سلامة الوجود العربي فيها لقد كان الخطر يكمن في قوة البيزنطيين البحرية وفي وجود قواعدهم الحصينة في الشمال الافريقي وبالتالي يهدد الوجود العربي الاسلامي في مصر .

مراحل الفتح العربي الاسلامي لبلاد المغرب

المرحلة الاولى - الاستطلاع والاستكشاف (22 - 50 هـ / 643 - 670 م)

عمرو بن العاص (ت 43هـ/664م)

بعد ان اتم عمرو بن العاص فتح مصر وثبت اقدام المسلمين بها اتجه ببصره نحو حدودها الغربية حيث برقة وطرابلس لان برقة تعد امتدادا طبيعيا لمصر لمجاورتها من مصر اما طرابلس فكانت مع برقة تابعين رسميا لمصر بعد انفصالهما عن ولاية افريقية زمن الامبراطور البيزنطي موريس ولذلك لم تكن حدود مصر الغربية امنة وكان لا بد من القضاء عليه فقد تلقت الحاميات البيزنطية بمصر مددا وعونا من شمال افريقية مكنها من مقاومة الفاتحين المسلمين وجعلت عمرو بن العاص يدرك ان برقة وما والاها من بلاد تابعة للبيزنطيين وان لهم فيها منعة وعزة وفضلاً عن ذلك كان اهل برقة وطرابلس على علاقات قوية مع مصر وسبل الاتصال تتم بينهم في سهولة ويسر ولم يبادر عمرو بن العاص بالهجوم على برقة دون ان يتيسر له معرفة امورها واحوالها ولذا فانه ارسل عقبة بن نافع على راس حملة استطلاعية الى برقة ولما أطمأن عمرو بن العاص الى سلامة موقفه بمصر ووصلته انباء مشجعة من عقبة بن نافع عن حالة برقة تحرك على راس جيش من فرسانه في اواخر عام (22هـ/642م) الى برقة وكان يسكنها بطون من قبيلة لواته وهي من اكبر قبائل البربر شانا واشدها باسا وحاصر عمرو المدينة التي استسلمت دون قتال وسارع البربر بالدخول في طاعة المسلمين وصالحوهم على دفع جزية كبيرة مقدارها ثلاثة عشر الف دينار وبعد ان انتهى عمرو بن

العاص من فتح برقة وضع خطة عسكرية لفتح طرابلس لفتح طرابلس وتمثلت هذه الخطة في ان تتحرك قواته في اتجاهين الجزء الاكبر من جنده يتحرك تحت قيادته نحو الطريق الساحلي مستهدفا مدينة طرابلس وما يليها من المدن الساحلية وجزء محدود من الجند يتحرك نحو الداخل بقيادة عقبة بن نافع لتأمين المناطق الداخلية حتى مدينة زويلة ودخلها صلحاً وقد شرع عمرو في فتح مدن اقليم طرابلس فبدأ بمدينة اجدابية ثم نجح في الاستيلاء على مدينة سرت ثم مدينة لبدة واشرف على مدينة طرابلس وكانت محصنة وذات اسوار منيعة فيما عدا الجهة الشمالية المطلة على البحر فضرب عمرو بن العاص الحصر عليها لمدة شهر حتى اكتشفت قوة من جند المسلمين فتحة في سور المدينة تسمح بدخولهم اليها فتسللت قوات المسلمين من خلال هذا المكان الى داخل المدينة وهم يكبرون مما ادى الى اضطراب البيزنطيين وخوفهم وتمكن المسلمون من هزيمتهم وفرت البقية الباقية من الحامية البيزنطية في سفنها وغنم عمرو وجنده ما كان في المدينة وبعد نجاح عمرو في فتح طرابلس اسرع بارسال مجموعة من جنده لمفاجاة مدينة سرت واهلها غافلون يظنون انهم بآمن من قوة عمرو بن العاص فصادف وصول قوة الجند اليه ان ابوابه مفوحة لتسريح الماشية فدخلها المسلمون واحتوى جند عمرو على ما فيها وعادوا الى عمرو يبشرونه بهذا النصر الخاطف وكان عمرو بن العاص قد ارسل الى مدينة ودان بسر بن ابي اراطه وهو محاصر لطرابلس فتمكن بسر من فتحها عام (23هـ / 643 م)

وما ان انتهى عمرو من الاستيلاء على طرابلس حتى توقف عن الزحف وارسل الى الخليفة عمر بن الخطاب يبشره بما افاء الله على المسلمين من فتوح ويستأذن بالتقدم نحو افريقية ولكن الخليفة رفض الاستجابة لطلب قائده ومنعه من تنفيذه ويشير البلاذري عن هذا الرفض بقوله " ان الخليفة كتب اليه ينهائها عنها ماهي بافريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها .

وفي عام 23هـ / 643 م توفي الخليفة عمر بن الخطاب وتولى الخلافة من بعده عثمان بن عفان واعفي عمرو بن العاص من منصبه وتعيين عبد الله بن ابي سرح واليا على مصر سنة 25 هـ / 945 م .

عبد الله بن سعد بن ابي سرح (ت 37 هـ / 657 م)

اتبع عبد الله بن ابي سرح سياسية تقوم بالاساس على بعث السرايا وباتجاهات مختلفة وكانت تلك السرايا تجوب اطراف افريقية وتعود الى قاعدة انطلاقها في مدينة برقة ولم يكن هدفها الغنائم والسبي وانما الاستطلاع وجس مواطن العدو واتباع اخباره ومعرفة قواه وما يملكه من عده وعدد وعلى نتائج هذه الحملات الاستطلاعية كان يقدر ما يمكن ان تلقاه القوات العربية من المقاومة وعلى اساسها كانت تعد خطة الهجوم .

ونظرا للظروف المشجعة التي انتهت بها الحملات قرر ابن ابي سرح استشارة الخليفة عثمان بن عفان لاستئناف حروب التحرير في المغرب وطرد المستعمرين الروم البيزنطيين وجاءت موافقة دار الخلافة مع العمل على اعداد جيش كبير شارك به رجال العرب والقبائل المحيطة بالمدينة والحجاز وتجمعت القوات ومن انظم اليهم من مصر حتى بلغ (20.000) الف مقاتل واطلق على اسم الجيش العبادلة او غزوة العبادلة نسبة الى اسماء كبار ابناء الصحابة المشاركين في هذا الجيش .

خرج جيش العبادلة من مصر عام 27 هـ / 647 م بقيادة عبد الله بن أبي سرح وكان هدفه مدينة سببيلة عاصمة الروم البيزنطيين وحاكمها يومئذ جرجير الذي كان قد خلع طاعة الامبراطور هرقل واستقل بحكم المغرب .

وعندما وصلت القوات العربية مدينة برقة انضمت اليها حاميتها وكانت تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري وواصلت القوات زحفها تتقدمها بعض سرايات الفرسان لاستكشاف المناطق المتقدمة ولتأمين خطوط مواصلات الحملة فتركت مدينة طرابلس وقابس لحالها وفي منطقة قمونية عسكر الجيش العربي ودارت المفاوضات بين القائد عبد الله بن أبي سرح وجرجير الذي رفض الاسلام او الخضوع لحكم الجزية معتدا بقواته التي بلغ تعدادها (120) الف مقاتل وبدأت المناوشات بين الطرفين عام 28 هـ / 648 م في مكان اطلق عليه (عقوبة) واستمرت المناوشات اياما حيث بيدء القتال من الصباح ويتوقف ظهرا فيعود كل طرف الى معسكره فلا يستأنفون الا في صباح اليوم التالي وهكذا استمرت اياما حتى اكتشف عبد الله بن أبي سرح من اكتشاف نقاط الضعف في قوات جرجير فعدل في خططه العسكرية وقام بهجوم شديد اخترق صفوف القوات الرومية واجبروها على التراجع بدون نظام وكان من نتيجة ذلك مقتل جرجير و معظم قادته وانهزم من تبقى منهم في اتجاهات مختلفة وتمكنت قوة من الفرسان من صد المنهزمين ومنعهم من دخول مدينة سببيلة والاعتصام بها وبذلك جردت المدينة الحصينة من المدافعين عنها وسقطت بسهولة في معركة ثانية .

وسقوط مدينة سببيلة يعني اول ما يعني انهيار الحكم البيزنطي في معظم المناطق التي كانت تحت نفوذ جرجير فقد سقطت مدن وقلاع رومية مهمة وبلغت القوات العربية قفصة ثم جاءت الى مرماجنة كما بلغت حصن الجم وضيقا عليه الحصار حتى دخلته صلحا وكان وقع هذه الانتصارات شديدا على الغزاة الروم .

وبعد هذه الحملة التي استغرقت فترة تقارب (15) شهرا قرر عبد الله بن أبي سرح العودة الى مصر لان طول الفترة التي قضائها في الحملة و الانهالك الذي اصاب القوات حيث ادراك عبد الله بن أبي سرح ان تحرير بلاد المغرب لا يمكن ان يتم من خلال الانتصار في معركة واحدة فلا زالت امامه الكثير من العقبات وعدد من الحصون والمعازل .

يشير المؤرخ ابن عذاري في كتابه البيان المغرب الى عودة عبد الله بن أبي سرح الى افريقية عام (33 هـ / 653 م) بهدف تاديب الخارجين عن العهد فكانت تطلق مجموعة من الحملات والسرايا الصغيرة التي تنطلق بامرهم من قاعدة برقة باتجاه افريقية لضرب بؤر المقاومة ولتفتيت تجمعات الاعداء فكانت حملة ذات الصواري البحرية عام (34 هـ / 654 م) اخر الحملات الكبيرة التي قادها عبد الله بن أبي سرح ضد اسطول الروم البيزنطيين في مياه البحر المتوسط فقد تمكن الاسطول العربي من تدمير القوات الرومية ما بين ساحل طرابلس وتونس وكانت حملة الروم هذه اولى الحملات البحرية الضخمة التي جهزها البيزنطيون واستعدوا لها محاولة منهم في استعادة ما فقدوه من مناطق نفوذهم .

عمرو بن العاص (ت 43هـ/664م) الولاية الثانية

كانت لاحداث مركز الخلافة في الحجاز ولحين استقرار الاوضاع للدولة الاموية فاعاد عمرو بن العاص الى ولاية مصر واستمر حتى وفاته عام 43 هـ / 663 م ولا يذكر المؤرخون اي نشاط مميز خلال ولايته الثانية

وقد فصلت ولاية المغرب عن مصر واصبحت ولاية مرتبطة بمركز الخلافة مباشرة وتولى امرها وقيادة جيوشها معاوية بن حديج السكوني .

معاوية بن حديج السكوني (ت 52هـ / 627م) .

الذي توافرت لديه ظروف مناسبة مكنته من تجهيز قواته وقيادتها عام 45هـ / 665 م مستغلا الاوضاع السيئة التي احاطت بالغزاة الروم في بلاد المغرب ، وخرج على راس جيش قوامه (10) الالف مقاتل سالكا الطريق الساحلي مروا بمدينة طرابلس وانتهى بقواته في منطقة قمونية وقد وقعت معركة بينهم وبين البيزنطيين واسفرت عن البيزنطيين واعتصامهم بمدينة سوسة وتقدم معاوية بن حديج السكوني شمالا فعسكرا في موضع (القرن او جبال القرن) وبدا في تجهيز قوى عسكرية ضد الروم البيزنطيين وكانت :

- 1- بقيادة عبد الله بن الزبير وهدفها مدينة سوسة حيث اعتصمت القوات البيزنطيين .
 - 2- كانت بقيادة عبد الملك بن مروان لتحرير حصن جلولا .
 - 3- كانت بقيادة عقبة بن نافع الفهري الحملة الصحراوية حيث اعاد اخضاع تلك المناطق بعد ان كانت قد انقلبت ونفضت عهدها مع العرب .
- تمكنت القوات العربية خلال هذه الحملة من طرد القوات البيزنطية من سوسة وتحرير اهم حصون الدفاع الثاني في افريقية وهو حصن جلولاء اضافة الى تامين المناطق الصحراوية واعادة السلطة العربية الى ربوعها.

=====